

حماسية فياضة بدأها بقوله غاطسا رجال الحبش :

« حماة البلاد وفرسانها ! »

« من قرأ التواريخ وعلم ما نوال على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلت إليه من الشرف وما كتب لكم في صفحات التاريخ من الحسنات إلى أن قال : وهذا وطنكم العزيز أصبح يشاد بكم ويناجيكم ويقول :

إليكم يرد الأمر وهو عظيم فأنى بكم طول الزمان رحيم
إذا لم تكونوا للخطوب وللاردي فمن أين يأتي للديار نعيم ؟
وإن الفتى إن لم ينازل زمانه تأخر عنه صاحب وحميم
فردوا عنان الحيل نحو نعيم قلبه بين البيوت نسيم
وشدوا له الأطراف من كل وجهة
فشدود أطراف الجهات قويم
إذا لم تكن سيفا فكن أرض وطاة

فليس لمغلول اليمين حريم
وحتم خطبته بقوله : وأحسن ما يؤرخ به اسم
الجهادية عند النوازل أن يقال (مات شهيد الأوطان !)
فنادى الجميع (رضينا بالموت في حفظ الأوطان !)
ولما شبت الحرب العرايية لازم النديم عرابي في كفر
الدوار ثم في التل الكبير ، وكانت مجلته (الطائف)
تصدر في معسكر الجيش المصري

وبعد أن وقعت المريعة ظل مغلما للثورة في معتها .
فبرهن على ولاء نادر ووطنية أصيلة عميقة . وكان ممن
أمرت الحكومة باعتقالهم ، وهجرت عن التعرف
إلى مقره والقبض عليه ، وظل مخفيا عن عيونها
وجواسيسها نحو تسعة أعوام . وأعيى الحكومة أمره
وجعلت ألف جنيه لمن يرشد عنه ولكنها لم تهتد إليه

وقد وصف ما لقيه من الشدائد أثناء اختفائه في قصيدة
تفيض وطنية وإيمانا ونفرا وشجاعة . وهي من غرر
قصائده . قال :

شعراء الوطنية

عبد الله نديم

للأستاذ المؤرخ عبد الرحمن الرافعي

تحدثنا في مقالنا السابق عن رائد أول للشعر الوطني ،
وهو رفاعة رافع الطمطاوى . وقد توفي سنة ١٨٧٣ . وظل
الشعر في مصر خلوا من المعاني الوطنية ، إلى أن تجددت في
شعر عبد الله نديم . وهو ما نتحدث عنه في هذا المقال
هو خطيب الثورة العرابية ، وهو أيضا شاعرها ،
انطبع في خطبه وقصائده روح الوطنية المتدفقة .
وروح الثورة

ولد سنة ١٨٤٥ بالاسكندرية ، وبدأت عليه منذ صباه
غنايل الذكاء اللامع ، وظهرت مواهبه في الترسل في
الكتابة والشعر والزجل والقدرة الخطابية ، مع خفة
في الروح ، وميل إلى الفكاهة . وجراة وإقدام ،
واستخفاف بأحداث الزمن

ولما ظهرت الثورة العرابية أوائل سنة ١٨٨١ انضم
إليها بطبعه ؛ إذ كانت نفسه تتأجج وطنية ، وتتطلع إلى
الحرية والمجد . ونجحت مواهبه الخطابية ، فصار خطيب
الثورة العرابية

ومما يذكر عنه في صدد الحديث عن شعره الوطني أنه
لما سافر الألاى السودانى الذى كان يقوده الأميرالاي
عبد العال حلمى أحد زعماء الثورة من القاهرة إلى دمياط
في أوائل أكتوبر سنة ١٨٨١ ، كان سفره يوما مشهودا .
فاحتشدت الجموع في محطة العاصمة لتحية الألاى حين
سفره ، وكان من بين المودعين عرابي والبارودى وعبد الله
نديم ، فوقف النديم وسط هذا الجمع الحاشد وألقى خطبة

أعسنا إذا فلنا لبنا
نم للعجيد نقتحم الدوامي
تناوشنا فتقهرنا خطوط
سواء حربها والسلم إنا
إلى إن قال :

إذا ما الدهر صافانا مرشنا
لذا جلد على جلد يقينا
ألفنا كل مكروه تقدي
فأعيا الخطب ما يلقاه منا
سليتنا يا خطوط فقد عرفنا
وفرى فوق عاتقنا وقول :
علينا للعلا دين وضعنا
فهل يسمى رهين في سرور
إذا ما المجد نادانا أحيينا
يقينا فيلمينا التفتي
ولسنا الساخطين إذا رزنا
فإنا في عداد الناس قوم
إذا طاش الزمان بنا حامنا
إلى أن قال :

سلوا عنا (متارنا) فإننا
لحكمتنا تقول إذا هدرتم
سرى فينا من الآباء سر
فإن عشنا منحننا سائلنا
وقال يصف إحاطة الجند بالزل الذي كان فيه يربدون
اعتقاله فنجاه الله من شرهم :

أنسى يوم مصر والبلابا
فكنت^(١) الغوث في يوم كربه
مدحنا فيه في إشراق شمس

لبنا أو روم القلب لبنا
فيحسب حامل إنا دحينا
زى لبت المرين لما قرينا
أناس قبل هدتها هدنا

فإن عدنا إلى خطب شفينا
فإن زاد البلا زدنا يقينا
له فرسانه بالراجلينا
ولسنا صحاح ما عينا
بأنا الصلب صلنا أو صلينا
زلت اليوم أعلى طورسينا
عليه الروح لا الدنيا رهينا
وهل تلقى بلا كدر مدينا
فيظهر حين ينظرنا حنيينا
عن الباكي وينسينا الحزينا
نم يلقى القضا قلبا رزينا
بما يرضى الآله لنا رضينا
ولسنا نهينا أن نهينا

تركنا في منعتها فطينا
ألا هي بصفحك فاصبحينا
يسوق البر نحو المعوزينا
وإن متنا نفحننا الزارينا

تطاردني ولا ألقى معينا
أخاف الشهم والخبر السمينا
فلما جاء مغربه هجينا

(١) الخطاب هنا وفي الآيات التالية موجه إلى الرسول عليه

السلامة والسلام . والدم شريف التسب

وهل أنسى هجوم الجند عمرا
أحاطوا بي وسدوا كل باب
وكان السطح مملوا بجند
فأدركت الوحيد وكان سيديا
وأرشدت النديم إلى مكان
وأعنى الله هنا كل عين

وصرنا فوق سطح فيه علو
فلم أهرب وثوب من طمار
ويوم النيط كنت لنا بحيرا
فقد كنا بلا ستر يرانا
وكم صرنا بلا خوف جهارا
وإني الآن في خطب عظيم
أناا مخبر عن قوم سوء
وخاف الضر أحبابي جيما
فمجل بالرحيل بلا توان
فأدرك يا أبي نجلا دهام
فاخفت المذنون ولا الأعادي
فمرت الليل يصحبنى ثبات
ورافقني خليل كان قبلا
وأدركنا القطار بغير خوف
وأنتى الله ستر الحفظ فضلا
وكان أنخل منتظرا قدومي
ونجى الله بعد اليأس عبدا
وإليك لترى هذا الشمر أقوى في الروح والأسلوب

من شمره في إبان التورة . وهكذا يبدو أن المزمعة لم تنل
منه . بل زادته قوة وحيوية وصلابة وبلاغة . وأن الشدائد
قد صقلت مواهبه كما تصقل المعادن وبجلى جواهرها على
لهب النار . فاحتفظ النديم في سنى المحنة بما جباه الله من
إيمان صادق . وعزم ثابت . وصمود على الأيام . وكذلك
الشدائد والمحن . يختلف أثرها في نفوس الناس . فبينما
تبعث اليأس والحزاع في النفوس الضعيفة . تراها على العكس